أثر الأخلاق النبوية في حياة الصحابة (١)

أيها القارئ الكريم:

كان الرسول ﷺ المثل الأعلى للأخلاق الكريمة والآداب العالية، وقد وصفه الله ﷻ فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (١)

وقال النبي ﷺ عن نفسه: « **إنَّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** » (٢)

والأصل الجامع لبيان أخلاقِ الرسول الأعظم هو القرآن الكريم، فكل ما دعا إليه القرآن من أخلاقٍ وآداب، فإن الرسول قد تَخَلَّق وتأدَّب به، وإليه الإشارة بقول الرسول ﷺ « **أدَّبني ربي فأحسن تأديبي** »

وقالت عائشةُ - رضي الله عنها -: « **كان خُلُقُهُ القُرآن** » (٣)

وأُحب - أخي القارئ - أن ترى أثر الأخلاق النبوية الكريمة في صحابته -رضوان الله عليهم-.

فما أكمل أن ترى تأثير صاحب الخلق العظيم في صحابته وفيمن حوله. قد عرفنا خُلُقَه ﷺ من كتاب الله الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ (٤)

---

(١) القلم : ٤.

(٢) مسند الشهاب.

(٣) رواه أحمد.

(٤) فصلت : من الآية ٤٢.

فَلْنَر أثر هذه الأخلاق في صحابته - رضوانُ الله عليهم - وفي واقع الحياة من حوله.

في واقع الحياة ترى أمةً تحوَّلت بهديه من فُرقةٍ طائشةٍ إلى وَحْدة آمنة، ومن ظلام الشرك إلى نور اليقين. ومن ظلمة الجهالة إلى وضَاءة العلم. ومن نقمة الأثرة إلى نعمة الإيثار. كلُّ هذا في أخوة بارة، وعزيمة راشدة، وسعي مشكور، يتجهون بعزائمهم إلى الله ينشدون رحمته ويبتغون رضاه.

ترى من بين صحابته من يجاهدُ في سبيل الله ثم يُعطى حَظَّه من الغنيمة فيأباه وهو يقول لرسول الله ﷺ: « **مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ، وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى إِلَى هَاهُنَا - وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ بِسَهْمٍ - فَأَمُوتَ فَأَدْخُلَ الْجَنَّةَ** » فَقَالَ ﷺ: « **إِنْ تَصْدُقْ اللَّهَ يَصْدُقْكَ** »

ولا يلبث الصحابيُّ - رضوان الله عليه - وقد دخل إلى حَوْمة القتال - أن يُؤتى به إلى رسول الله ﷺ وهو مقتول، فيقول الرسول ﷺ: « **أَهُوَ هُوَ ؟** » **قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ:** « **صَدَقَ اللَّهَ فَصَدَقَهُ** »[1]

ترى الرجل من صحابة رسول الله ﷺ وقد خرج من ضيق الشرك إلى سعة الإيمان، تراه يجاهد في سبيل الله، فيُقسم في الميدان أني أجِدَ ريحَ الجنةِ من دون أُحُد- ويقاتل فيُقتَل !

ترى منهم البسالة النادرة، والإقبالَ على الله وحسنَ التوجه إليه، وصادق الخشيةِ منه.

قال رسول الله ﷺ يوم بدر: « **قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ** » **فَقَالَ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ**

(١) رواه النسائي.

وَالأَرْضُ ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ ؟ قَالَ: لا وَاللَّه يَا رَسُولَ اللَّه، إِلاَّ رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا. قَالَ: فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا. فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِه، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ؛ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ. فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ » (١)

بل إنك لترى الصحابيَّ - وقد رفع الله الحرج عنه - يأبى إلاَّ أن يجاهد في سبيل الله.

عمرو بنُ الجَمُوح رضي الله عنه وهو أعرج شديدُ العرج، وله أربعةُ يغزون مع رسول الله ﷺ إذا غزا، يأبى إلا أن يخرج إلى أُحُد، فيقولُ له بنوه: إن الله قد جعل لك رخصة فلو قعدت ونحن نكفيك وقد وضع الله عنك الجهاد.

فيذهب عمرو إلى رسول الله ﷺ يشكو إليه أمر أبْنَائه، ويقول: إن بَنِيَّ هؤلاء يمنعوني أنْ أخرج معك، والله إني لأرجو أن أُستشهَد فأطأ بعرجتي هذه في الجنة. فيقول له رسول الله ﷺ: **أمَّا أنت فقد وضع الله عنك الجهاد.** وقال لبنيه: **وما عليكم أن تدعوه؛ لعل الله ﷻ يرزُقُه الشهادة.**

فخرج مع رسول الله ﷺ فقُتل يوم أُحد. (٢)

حبُّ الله ورسوله جعل الواحدَ منهم يُقدِّم نفسه وماله وأولاده في سبيل الحق الذي ارتضاه وطابت نَفسُه به.

أما سمعتَ قول الصحابي وقريشٌ تقول له وهي تقتله: أتحبُ أنَّ محمداً مكانك يفتديك ؟ قال: لا والله، ما أُحِبُّ أن يَفْدِيني بشوكةٍ يُشاكُها في قدمه !

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى.

أخي المسلم:

انظر إلى أثر خُلقِ الرسول ﷺ في صحابته لقد أحبُّوه حتى أصبَح أحبَّ إليهم من نفوسهم، وأطاعوه طاعة حُبٍّ وعبادة لله ﷻ ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [1]، ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [2]

إنها الأخلاق التي تخلّق بها رسول الله ﷺ فحوَّلت نفوس أتباعه من ظلام الجاهلية إلى نور الإيمان، فرأوا بُيوتَهم في الجنة فأرادُوها، وسَعَوا إليها سَعْيَها فكان سَعْيُهم مشكوراً.

إنها الأخلاق القرآنية التي جعلت الأعراب الَّذين وَأَدُوا بناتهم مخافة العار جعلتهم الرُّكْع السُّجد الذين يبتغون فضلاً من الله ورضواناً. إنها الأخلاق القرآنية التي خضعت لها النفوس، وخشعت لها القلوب، وعزَّ بها المؤمنون.

قالت قريش في أَوَّلِ أمرها لرسول الله ﷺ: ﴿ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ۚ ﴾ [3]، فلما اتبعوه خُطِّفُوا من أرضهم لا إلى الذل والهوان كما ظنوا، ولكن لقيادة الدنيا وسيادتها، والوقوف على ذروة المجد فيها.

إن الدنيا قد دنت إليهم، واتجهت بأمر ربها إلى الحرم الآمن الذي مكن الله لهم، فكانت دعوته ﷺ عِزًّا ورحمةً للعالمين.

---

(١) النساء : من الآية ٨٠.

(٢) آل عمران : ٣١.

(٣) القصص : من الآية ٥٧.

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[1]

✿✿✿

أيها القارئ الكريم:

فلنمض معاً لنرى آثار أخلاق رسول الله ﷺ في صحابته، وقد **كان خُلُقُهُ القُرآن**.

لقد أثَّرت أخلاقُه فيهم، فكان أحبَّ إليهم من أنفسهم. وقد رأيت أحدَ الصحابة وقريشٌ تسألُه وقد صَلَبتْه لتقتُلَه: أتُحِبُّ أن مُحَمَّداً مكانك يفتديك ؟ قال: لا والله ما أُحِبُّ أن يفديني بشَوكةٍ يُشَاكها في قدمه.

وانظر أمر الصحابي سعد بن الربيع، يقولُ زيدُ بنُ ثابت ﷺ بعثني رسول الله ﷺ يوم أحد أطلبُ سعْدَ بنَ الربيع. فقال لي: « **إنْ رأيته أقرئه مني السلام. وقلْ له: يقول لك رسول الله ﷺ: كيف تجدك ؟** » قال: فجعلتُ أطوف بين القتلى فأتيتُه وهو بآخِر رمقٍ وفيه سبعون ضربة ما بين طعنةِ رمح، وضربة سيف ورمية سهم، فقلت: يا سعد، إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام ويقول لك: أخبرني كيف تجدك ؟ فقال: وعلى رسول الله ﷺ السلام قل له: يا رسول الله، أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار: لا عُذْرَ لكم عند الله إنْ خَلُصَ إلى رسول الله ﷺ وفيكم عين تَطْرِف، وفاضَتْ نفسُه من وقته.

ألم تسمع سعدَ بنَ معاذ وهو يقول يوم بدرٍ لرسول الله ﷺ عن نفسه وعن الأنصار: « **صِلْ مَن شئتَ، واقطع حَبلَ مَن شئتَ، وخُذْ من أموالنا ما شئتِ، وأعطنا ما شئتَ، وما أخذت منا كان أحبَّ إلينا مما تركتَ، وما أمرتَ فيه من أمْرِنا**

(١) الأنبياء : ١٠٧.

فأمْرُنا تَبَعٌ لأمرك فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ما تَخَلَّفَ منا رجل واحد ».

أما سمعت ما قاله الرجالُ من الأنصار وهم يقتلون في سبيل الله وماذا كانوا يصنعون ؟

فتأمل آثار أخلاق رسول الله ﷺ فيهم.

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: « جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: أَنْ ابْعَثْ مَعَنَا رِجَالاً يُعَلِّمُونَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلاً مِنْ الأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُمْ (الْقُرَّاءُ) فِيهِمْ خَالِي حَرَامٌ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَدَارَسُونَ بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ، وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَجِيئُونَ بِالْمَاءِ فَيَضَعُونَهُ فِي الْمَسْجِدِ، وَيَحْتَطِبُونَ فَيَبِيعُونَهُ، وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لأَهْلِ الصُّفَّةِ وَلِلْفُقَرَاءِ، فَبَعَثَهُمْ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَعَرَضُوا لَهُمْ فَقَتَلُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الْمَكَانَ، فَقَالُوا: اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ وَرَضِيتَ عَنَّا. قَالَ: وَأَتَى رَجُلٌ حَرَامًا – خَالَ أَنَسٍ – مِنْ خَلْفِهِ، فَطَعَنَهُ بِرُمْحٍ حَتَّى أَنْفَذَهُ، فَقَالَ حَرَامٌ: فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأَصْحَابِهِ: إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ قُتِلُوا، وَإِنَّهُمْ قَالُوا: اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ، وَرَضِيتَ عَنَّا » [1]

هل رأيت أمرهم وأبصرت حالهم، وعرفت كيف أَثَّرت فيهم أخلاقُ رسول الله ﷺ، وكيف أحبُّوه، وكيف أعلنوا رضاهم وهم يُقْتَلُون، بل هتفوا بفوزهم مرضيين مستبشرين.

أولُّ ما يطالعنا من صفاتهم وأحوالهم:

١ – يقرءون القرآن ويتدارسونه بالليل يتعلمون:

هذا ليلُهم ليس بلاهٍ ولا عابث، وإنما هو ليلٌ ذاكرٌ يُقْضَى في تدبر آيات الله

(١) رواه مسلم.

وكلماته. ولننظر إلى نهارهم لنرى ما فيه.

٢- وكانوا بالنَّهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد:

هذا عمل بار ينتفع به المسلمون. وكأني بنهارهم يصدع بما تدبروه في ليلهم، فهم في الليل يقرءون القرآن ويدركون مقاصده، وفي النهار يتحركون بأمره ويتقلبون بوحيه، إنهم جنودُ حق لا يرون أنفسهم إلا به. إنهم رجال لم يخدعْهم بريقُ الحياة، بل عرفوا الطريق وجددوا العزم والسلوك، إنهم أدركوا أن أنفسهم لله لا لغيره، فلم يتوزعوا أو يتميعوا أو يترددوا في اختيار الباقيات. فهذا ليلُهم يُضاء بالقرآن وهذا نهارهم يُقضى في طيب الأعمال.

وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد، ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة وللفقراء.

أيُّ نفوس هذه، وأيُّ نمط من الرجال ! إنهم رجالٌ يقوم بهم دِين، وتتحقق بهم رسالة، وتسعد بهم أمة، وتنعم به جنة، إنهم رجالٌ انتصروا أولاً على أنفسهم وجدير بهم أن ينتصروا في جميع معاركهم.

إن الإنسان لا يُخذَلُ إلاَّ من نفسه، ولا يُذلُّ إلاَّ من حرصِه. إن الله قد جعلهم دعاةً لا لفئة محدودة في عصرهم، بل جعلهم دعاةً للعصور كلِّها وهم يواجهون الموت في سبيله، ليجد كلُّ شهيد فيهم أُسوَته. إنهم في هذه الساعة لا يذكرون أنفسهم ولا يقفون عند جراحاتهم، إنهم يذكرون ربهم، ويتذكرون نبيهم، إنهم يرسلون إليه يطمئنونه ويبشرونه، ولكن مَن يحمل رسالتهم ومن يبلغ عنهم ؟ اللهُ الذي قتِّلوا في سبيله.

إنهم لم يصلوا إلى المكان الذي أُرسلوا إليه، وإنما وصلوا إلى أعلى مكان وأكرمه، فقالوا: اللّهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا.

يا رسول الله هل جاءك الخبر ؟ خبرُ أصحابك الذين تأدَّبوا بأدبك وتخلَّقوا بخلقك ؟ أصحابك الذين لم تر الدنيا مثلهم صدقاً ووفاءً وبرًّا. نعم جاء الخبر.. فها هو ذا رسول الله ﷺ يقول لأصحابه: « **إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ قُتِلُوا، وَإِنَّهُمْ قَالُوا: اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ، وَرَضِيتَ عَنَّا** »

﴿ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١١١ ﴾ (١)

✿✿✿

أيها القارئ الكريم:

لقد أثَّر خُلقُ الرسول ﷺ - وقد **كان خُلُقُهُ القُرآن** - فحوَّل حياتهم من ظلام الشرك إلى نور اليقين، فاتجهت عزائمهم إلى الله ينشدون رحمته ويبتغون رضاه، وقد قرأت ما قرأت من مواقف صَحابتِه - رضوان الله عليهم - ولم يكن هذا شأن الرجال وحدهم، بل كان للمرأة شأنٌ في هذا الجمع المتألق بالإيمان الساعي في الأرض بدعوة الحق، ومنطق العدل ورعاية الأمانة.

ألم تسمع ابنة أبي سفيان وقد جاء والدُها إلى المدينة - وهو يومئذ على دينِ قومه - ماذا صنعت ؟ دخل عليها وهي في بيت رسول الله ﷺ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه.

فقال: يا بنية، ما أدري، أرغبت بي عن هذا الفراش أمْ رغبت به عنِّي ؟

قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت رجلٌ مشرك نَجَس.

ألم تسمع عن المرأة من الأنصار - قُتل أبُوها وأخوها وزوجُها يومَ أُحُد، فقالت وهي صابرةٌ راضية: ما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا: خيراً هو بحمد الله كما تُحبين. فأبت إلاَّ أن تراه؛ لتطمئن عليه، فلما رأته قالت: الحمد لله، كلُّ مصيبة بعدك جَلَل.

---

(١) التوبة : من الآية ١١١.

بل ألم تسمع عن الخنساء التي ندبت أخاها صَخْراً في الجاهلية وبكتْه بشعر يُذيب القلوب ويُثير الحمية ؟

إننا نراها – وقد أسلمت – يُقتَل أولادُها جميعاً في معركةٍ واحدة فلا تزيد على أن تقول – في صبر – ورضى وإيمان: « الحمدُ للهِ الَّذي شرَّفني بقتلهم جميعاً »

هذا التحول الفذ في طاقات البشر إنْ هو إلاَّ شَهَادة التاريخ لتأثير خُلُق رسول الله ﷺ في هذه النفوس، **وكان خُلُقُهُ القُرآن.**

وقد شهد له الحقُّ – جَلَّ وَعَلاَ – في كتابه: ﴿ **وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ (١)

هذا الجمع بين القوى المختلفة، والعناصرِ المتنافرة، والطاقات المتنوعة، لا يمكن أن يتمَّ إلا بقوة فيها من سرِّ الله ما يجعلها قادرةً على تحويل النفوس وانصهارها في بوتقة واحدة، وفيها من الجاذبية ما يجعل النفوس تتعلقُ بها وتأوي إليها وتدورُ في فلكها.

وهذا ما تمَّ لرسول الله ﷺ الرحمة المهداة، والنعمةِ المسداة، والسراج المنير.

تأمل حُبَّ الناس له وتعلقهم به. وسل المسلم في أيِّ مكان، في آسيا وأفريقيا وأوربا وأمريكا، وفي بقاع الأرض كلّها، سَلْه عما يشعرُ في نفسه – مع امتداد الزمن – من حبٍّ لرسول الله ﷺ.

أخي المسلم:

لستُ في حاجة أن أُبين لك موضع الأُسوة بالرسول، وقد أدركتَ أن خُلُقَهُ القُرآن، والقرآن نزل عليه ليبينه للناس بقوله وفعله وإقراره: ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ**

(١) آل عمران : من الآية ١٥٩.

لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (١)

ومنه نعلم أنها أُسوة عمل وخُلق، أسُوة سُلوكٍ وطُهر، أُسوة عبادة وتجرد ومعرفةٍ وتقوى، أساسُها إيمانُك بربك ويقينُك بآخرتك وذِكرُك لخالقك ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (٢)

إن الإنسانية الظامئةَ إلى الطمأنينة والحب، والمتطلعةَ إلى السلام والأمن، التائهة في بيداء الخصومة والتناكر، لن تجد طمأنينتها في صدق، وحبَّها في إيثار، وسلامتها في عدل، وأمنها في حق، وتعارفَها في أخوةَ وتعاون، إلا على يد رسولها رسول الإنسانية جميعاً ﷺ، إنه الرحمةُ المهداة ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (٣)

إنه يطهِّر حياتَها من دَنسِ الجاهلية وفُرقة العصبية، ويُناديها في صدق « **أَلا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلا لا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلا لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلاَّ بِالتَّقْوَى** » (٤)

« **لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ** » (٥)

---

(١) النحل : من الآية ٤٤.

(٢) الأحزاب : ٢١.

(٣) الأنبياء : ١٠٧.

(٤) رواه أحمد.

(٥) رواه أبو داود.

أخي المسلم:

إن تربية الفرد أساسٌ في حسنِ الترابط وتحقيق العدل والحق بين الناس، وحين نتأمل أحوالَ الذين ربَّاهم رسولُ الله ﷺ نرى كل فرد في نفسه ميزاناً للعدل والطُهر، يتقبل الطيب ويرد الخبيث، لا ينقاد لباطلٍ، ولا يستجيب لمنكر، ولا يبيع آخرتَه بدنياه أو دُنيا غيره. والرسُّول ﷺ يعلّمهم: « **لا تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا. وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلا تَظْلِمُوا** » (١)

وإذا كان هذا نداءُ النبي ﷺ لكل فرد، والإنسانيةُ - كما نعلم - مجموع أفراد، كان ذلك داعياً لإشاعة البر، محققاً لأكرم المثل.

ولقد رأت الدنيا فيمن تأدَّبوا بأدب الدين وتخلقوا به، رأت هذا النموذج الفذ في تميِّز الشخصية ومقوماتها، وتآزرها مع الأمة المعتصمة بالحق المتآخية على الصدق. كما شهدت الدنيا منهم أكرَم حضارة إنسانية عرفها التاريخ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ (٢)

✿✿✿

أيها القارئ الكريم:

لم تشهد الدنيا جيلاً من الناس كالذي أخرجته آداب القرآن وأخلاقُه، من صحابة رسول الله ﷺ. إنه جيلُ أُمرْنا باتِّبَاعه، وقد تَخَلَّق بأخلاق رسول الله ﷺ،

(١) رواه الترمذي.

(٢) الحجرات : ١٣.

جيلٌ اقتدى بالرسول ﷺ فأحسنَ القدوة، وجاهد في سبيل الله فأخلص وصدق. وواجه أعتى الأُممَ وأقواها - في عصره - فما وَهَن ولا استكانَ ولا ضَعُف، بل حَمل راية الحق صابراً محتسباً، يبتغي وجهَ الله والدارَ الآخرة، فأظهر الله بهم دينَه ورفع بهم كلمةَ الحق، حتى رآها الناس تقوم في واقعهم، وتُرى في سلوك الرجال الذين تخلَّقوا بخُلُق القرآن وتأدَّبوا بآدابه.

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ (١)

أرأيت صفات الصحابة - رضوان الله عليهم - فيما سجله القرآن. إنهم أشداءُ على الكفار ولو كانوا من أهلهم وذوي قَرابتهم، وهي شدة تجعل لكلمة الحق سلطاناً ينعم به الناس.. وعندما تكون شدتُهم على الكفار - ولو كان فيهم آباؤهم أو أبناؤهم أو عشيرتهم - يكون ذلك هو المعيار الحقيقي لصدق هذه النفوس وتجردها لقضية الحق والعدل، ولذا رأينا العربي المسلم - وقد كان في جاهليته لا يعرف إلا

(١) الفتح : ٢٨، ٢٩.

العصبية لقومه وذوي قرابته - رأيناه يسأل رسول الله ﷺ عندما يسمع « **انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا** »، رأيناه يسأل: نصرته مظلوماً فكيف أنصره ظالماً ؟ قال ﷺ: « **تَحْجُزُهُ - أَوْ تَمْنَعُهُ - مِنْ الظُّلْمِ، فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ** » [1]، وما كان قبل معرفة الحق والإيمان به ليسأل هذا السؤال وهو يستجيب دائماً لنداء القبيلة مظلومةً أو ظالمة. لكن وقد تَخَلَّق بخُلُق القرآن يبحث عن الحق أين هو، أمَعَ أهلِه وعشيرته أمْ في جانب أعدائهم؛ لأن القرآن قد نبههم، والنبي ﷺ قد علَّمهم.

وهذا نداءُ الله لهم ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ [2]

إنهم جنود حق. والحقُّ أحقُّ أن يُتَّبع. فلا مودة لأهْلِهمُ وهم على الباطل إلا ما حَدَّد الله وبيَّن ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ

(١) رواه البخاري.

(٢) النساء : ١٣٥.

ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[1]

إن شدتهم لله، ورحمتَهم لله، إنهم يحبون في الله ويُبغضون في الله، وهل الإيمان إلا الحبُّ والبغض ؟

إن عقيدتهم هي التي تحكم سلوكهم وتتحكم في عواطفهم، فلا يرضَوْن إلا ما يرضاه الله ورسولُه، ولا يحبون إلاَّ ما يُحِبُّ اللهُ ورسولُه.

ترى الإيثار والتراحم بينهم؛ لأنهم جنود عقيدة صادقون ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾[2]

انظر إلى حُسْنِ استجابتهم لله وإخلاصهم له ﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ ﴾[3]

إن زمانهم محكوم بالطاعة، وهم قد وقفوا أنفسهم لطاعة الله والتجرد له.

فتلك هيئتهم وهذا باطنُهم. ظاهرُهم الطاعة، وباطنهم الإخلاص والتجـــرد

---

(١) المجادلة : ٢٢.

(٢) الحشر : ٨،٩.

(٣) الفتح : من الآية ٢٩.

﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ ولا تغيبُ على الناظر سيماهم؛ فإنها على وجوههم يحققها سُجودهم وما في باطنهم من إخلاص وصِدق ﴿ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ وضَاءَة وضياءٌ وإشراقٌ. وما أجمل أن يكون ذلك من أثر السجود؛ فإن « أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ » [1] ذلك مثلهم في التوراة وقد بشَّر الله بهم قبل أن يجيئوا إلى الدنيا على لسان موسى وعيسى ابن مريم - عليهم جميعاً أفضلُ الصلاة والسلام.

ومثلُهم عجيب - كذلك - في الانجيل وقد بَشَّرَ بهم ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ [2]

مثل ضربه الله ﷻ للنبي ﷺ إذْ خرج وحَدَه فأيَّده بأصحابه، كما قَوَّى الطاقة من الزَّرع بما نَبَتَ منها حتى كَبُرتْ وغلُظَتْ واستحكمت، فكذلك أصحاب رسول الله ﷺ آزروه وأيدوه ونصروه، فهم معه كالشَّطْء مع الزَّرع.

إن لأمرهم وقعاً في صفوف المؤمنين وفي نفوس الكافرين. أما في نفوس المؤمنين فإعجاب وحبٌّ وغبطة، وأما الكفار فغيظ أيُّ غيظ

﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ [3]

---

(١) رواه أبو داود، والنسائي، وأحمد.

(٢) الفتح : من الآية ٢٩.

(٣) الفتح : من الآية ٢٩.

لقد عرفت صِفَتَهم، وهذا جزاؤهم، هذا وعد الله لهم، ووعد الله لا يتخلف. ومن اقتفى أثرهم فهو في حكمهم، ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يَلْحقُهم فيه أحدٌ من هذه الأمة - رضي الله عنهم وأرضاهم، وجعل جنات الفردوس مأواهم. ونسأل الله - بحق وجهه - أن يُلْحِقَنا بهم ويَحشُرَنا في زُمرتهم.

روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ » (١)

رضي الله عنهم وأرضاهم.

❁❁❁

(١) متفق عليه.

obeikandl.com

أثر الأخلاق النبوية في حياة الصحابة (٢)

أيها القارئ الكريم:

لقد أثَّر خُلقُ رسول الله ﷺ في صحابته، فكان أحبَّ إليهم من أنفسهم، وكانوا ﷺ كما وصفهم الله وبشَّرَ بهم نبيُّه ﷺ في التوراة والإنجيل ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ (١)

ونحن الآن نلتقي مع الصاحب الأول رضي الله عنه، مع رفيق السفر والحضر، مع الصاحب الشفيق أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

روى البخاري عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: « إِنِّي لَوَاقِفٌ فِي قَوْمٍ، فَدَعَوْا اللَّهَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَقَدْ وُضِعَ عَلَى سَرِيرِهِ إِذَا رَجُلٌ مِنْ خَلْفِي قَدْ وَضَعَ مِرْفَقَهُ عَلَى مَنْكِبِي يَقُولُ: رَحِمَكَ اللَّهُ، إِنْ كُنْتُ لأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ؛ لأَنِّي كَثِيرًا مَا كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: كُنْتُ وَأَبُو بَكْرٍ

(١) الفتح : ٢٩.

وَعُمَرُ، وَفَعَلْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَانْطَلَقْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ. فَإِنْ كُنْتُ لأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَهُمَا. فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ » (١)

فلنعرف فضل الصديق أولاً من لسان الصادق الأمين الذي لا ينطق عن الهوى.

روى البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّه. فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ إِنْ يَكُنْ اللَّهُ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّه ؟ فَكَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ هُوَ الْعَبْدَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا. قَالَ يَا أَبَا بَكْرٍ: لا تَبْكِ، إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِه وَمَالِه أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً مِنْ أُمَّتِي لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلامِ وَمَوَدَّتُهُ. لا يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلاَّ سُدَّ إِلاَّ بَابُ أَبِي بَكْرٍ » (٢)

وروى البخاري عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ: « كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِه، حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِه، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ. فَسَلَّمَ وَقَالَ: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شَيْءٌ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْه ثُمَّ نَدِمْتُ فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ. فَقَالَ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ثَلاثًا. ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ، فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ، فَسَأَلَ: أَثَمَّ أَبُو بَكْرٍ ؟ فَقَالُوا: لا. فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَلَّمَ فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَمَعَّرُ (٣) حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْه فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه، وَاللَّه أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ. مَرَّتَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) أي : تذهب نضارتُه من الغضب.

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ. وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ. فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي ؟ مَرَّتَيْنِ. فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا » (١)

وفي حديث أبي أُمَامَةَ عن أبي يَعْلى في نحو هذه القصة: فجلس عمر فأعرض عنه - أي النبي ﷺ - ثم تحول فجلس إلى الجانب الآخر فأعرض عنه، ثم قام فجلس بين يديه فأعرض عنه، فقال: يا رسول الله ما أرى إعراضك إلاَّ لشيءٍ بَلَغَك عني، فما خَيْرُ حياتي وأنت معرض عني ؟ فقال ﷺ: « **أنت الذي اعتذر لك أبو بكر فلم تقبلْ منه** »

ووقع في حديث ابن عمر عند الطبراني في نحو هذه القصة: « **يَسْأَلُكَ أَخُوكَ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُ فَلا تَفْعَلُ ! فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا مَا مِنْ مَرَّةٍ يَسْأَلُنِي إِلا وَأَنَا أَسْتَغْفِرُ لَهُ، وَمَا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ بَعْدَكَ أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَأَنَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا مِنْ أَحَدٌ بَعْدَكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ** » (٢)

وقد صدقا - رضوان الله عليهما وعلى صحابة رسول الله أجمعين - فكلاهما يسرع إلى رسول الله ﷺ ليُخطِّئ نفسه، وها هو ذا أبو بكر يخشى أن يكونَ مِنْ رسول الله ﷺ إلى عمر ما يكره، فيجثو على ركبتيه ويقول: يا رسول الله والله أنا كنت أظلم ويكرر القول مرتين.

أخي المسلم:

ألا ترى صحابة رسول الله ﷺ والقرآن يسيطر على نفوسهم بآدابه ؟ ألا ترى تأسِّيهم برسول الله ﷺ في كل أمر ؟

عرفت فضل الصديق من لسان الصادق الأمين الذي لا ينطقُ عن الهوى ﷺ،

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير.

فلتعرف سرَّ ذلك، إنه يكمن في شئ وقر في القلب. إيمان بالله لا يضعف وثقة فيه لا تتزعزع، صِدقُ إخلاصٍ، وحسنُ توكلٍ.

أخبر عروةُ بنُ الزبير أن عائشة - رضي الله عنها - قالت: لما أنفدت قريش جوار ابنِ الدِّغنَّة قالوا له: مُرْ أبا بكر فليعبد ربَّه في داره، وليُصَلِّ فيها ما شاء وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا، ولا يستعلن بالصلاة والقراءة في غير داره، قال: ففعل أبو بكر ﷺ ثم بدا له فابتنى مسجداً بفناء الدار. فكان يصلي فيه ويقرأ. فتقصفُ - أي تزدحم - عليه نساءُ المشركين وأبناؤهم يتعجبون منه، وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاءً لا يملك دمعَهُ حين يقرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش. فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم، فأتى ابنُ الدغنة أبا بكر فقال: يا أبا بكر قد عملتَ الذي عقدتُ لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن تُرْجِعَ إليَّ ذمتي، فإنِّي لا أحبُّ أن تسمع العرب أني أخفرت في عَقْدِ رجل عقدتُ له. فقال أبو بكر: فإني أرُدُّ إليك جوارَك، وأرضى بجوار الله ورسوله.

ورسول الله ﷺ يومئذ بمكة..

أرأيت سرَّ فضله وموطنَ عزِّه ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ [1] نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ فنعم الصاحب، ونعم الجزاء.

---

(١) الليل : ١٧-٢١.

أثر الأخلاق النبوية في حياة الصحابة (٣)

أيها القارئ الكريم:

تعرفُ الأخلاق في تجربة حال وواقعِ سلوك.

فهي ليست بمعزل عن حياة الناس، بل تُرى فيهم، وتُلتمس في أحوالهم. فمع تباين أحوال الناس من عُسرٍ ويُسر، وشدةٍ ورخاء، وضراء وسرَّاء. تتبين معادنُ الناسِ وتُعْرَفُ أخلاقُهم.

فالخُلق الأصيل لا يتبدل مع هذه الأحوال؛ لأنه يستند إلى أصل ثابت لا تنال منه الأعراضُ المتغيرة.

قد يعيش الإنسانُ في محيط محدود يلتزم فيه نمطاً معيناً من السلوك، يرضاه الناس ويطمئنون إليه، بل ويحكمون عليه. فإذا ما اتسعت دائرة التعامل وفُتحت أبواب المنافع فلا تدري ماذا تفعل به عواصفُ الإغراءُ. هل تبقى عليه أو تميلُ به مع الريح حيث مالت.

من هنا يكون الحُكم على صاحب الخُلق أوفى ما يكون مع تغير الأحوال - من عُسر ويُسر، وشدَّة ورخاء - ومدارُ النظر والحكم أن ترى ثباتَ الخُلقِ مع مخالطةِ الناس وتباين الأحوال.

والخلق الذي يهتدي به العَالَمُ ويقتدي لا بُدَّ أن يكون سراجاً.

وفي مجال الحياة قد جعل الله الشمس سراجاً ممتدةً مع الزمان والمكان إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها.

وفي مجال إنارة النفوس وهدايتها مع امتداد الزمان والمكان، قد بعث الله محمداً ﷺ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦ ﴾ (١)

وأمْرُ الشمس في خَلْق الرحمن كأمر الرسالة الخاتمة في حياةِ الإنسان.
نورٌ تراه الأبصار، ونورٌ تُدْرِكُهُ البصائر.

وإذا كان الحق – جَلَّ وَعَلاَ – قد أرسل خاتم الرسل ﷺ بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فإن الأصل الجامعَ لبيان أخلاق الرسول الأعظم هو القرآن الكريم، وقد ضمن الله حفظه وبقاءه.

﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ (٢)

كما جعل سيرته وسُنَّته بَيِّنة أمام الناس، حتى تتمَّ القدوةُ به في كلّ أمرٍ وشأن، فإن ذلك شرط أساس فيمن تجب القدوة به. أن تكون حياتُه كلُّها معلومةً للناس؛ لتكون أخلاقُه وأعمالُه نبراساً للخلق في كل زمان ومكان.

وحياة الرسول ﷺ كلُّها معلومة لا يخفى منها شئٌ أيُّ شئ، مَا كَان يعمله في داخل بيته، من غُسله، ووضوئه، ونومه، ومعاشرته لأزواجه، ومأكله، ومشربه، وما يدور في بيته من شئون، وما يُؤكَل من طعام، وما يُوقد من سراج، وما يلبَسهُ، وما يتطيب به.

---

(١) الأحزاب : ٤٥، ٤٦.
(٢) الحجر : ٩.

هيئة فراشه وملاطفتُه لأزواجه وأهلِ بيته. ذكرهُ لربه، وقوفُه في الصلاة بين يديه، ما يتلوه من قرآن وما يواظب عليه من سنن، وما يحرص عليه من نوافل. في البيت أمهات المؤمنين يُحدِّثْنَ عن كل ما يقعُ منه في أخصِّ شئونه دون حرج.

وفي خارج البيت حيثُ الأعيُن ترصُده، والقلوبُ تتطلع إليه، والنفوسُ دائماً مَشُوقَةٌ لرؤيته. لا يكاد الباب يفتح ولا يَكادُ الرسول ﷺ يخرج إلى الناس، في أيِّ شأن من شئونه، حتى ترى من يُسَجِّلُ كل شئ عنه، حتى حركاتِ يده، وقسماتِ وجهه، وهيئةِ مجلسه، وتَبسُّمه، يسجلون ما ينطق به وما يصدر عنه من قيام أو قعود أو انتقال، من إقرار أو إنكار.

والصحابة جميعاً حريصون على أن يروه، وأن يسمعوا منه بقدر حفاوتهم وحرصهم على التمسك بسنته والاهتداء به، وإن جماعة من الصحابة سُمُّوا بأهل الصفة، وهبوا أنفسهم لهذه المهمة. مهمةِ التسجيل ومتابعة الرسول لإثبات كل ما يصدر عنه. وتبليغه لمن لم يَسمع.

إن شيئاً من أمر الرسول ﷺ لم يكن خافياً على أحد. إن كلَّ أمرٍ حفظته القلوب ووعته العقول، وشرُفت به النفوس.

والذين حفظوا حياة صحابته وسيرتهم ونسبهم وتاريخ إسلامهم. وكتبوا كل شئ عنهم وعن طبقات التابعين من بعدهم. لا تعجب أن ترى منهم هذه الحفاوة البالغة؛ لأنهم حريصون كل الحرص على معرفة كل شأن من شئون نبيهم ﷺ.

لذا قد رأينا الرواة والمحدثين يقصون السيرة في كل شئ، حتى إذا ذهب إلى الخَلاءِ يقولون: كان إذا ذهب إلى الخلاء أبعد، وإذا استبطئوه خوفاً عليه طلبوه.

إن صحابة رسول الله ﷺ لم يتركوا شأناً من شئونه إلاَّ تحدثوا عنه، ولم يُعرَفْ في تاريخ البشر قاطبةً أن أحداً قد اشتهرت سيرتُه وعُرِفَ كلُّ شئ عنه بمثل ما تَمَّ لخاتم الرسل ﷺ.

ولذا يمكن لكل إنسان - كائناً ما كان، وعلى أية حال، وفي أي شأن - أن يقتدي به، وأن يجد من حياته ما يتخذُه أسْوةً له.

إن تاريخ الرسول ﷺ - بحقائقه المشرقة - هو أثبتُ حقائق التاريخ. وسيرتَه هي أكمل ما عرفت الإنسانية من سيرة رسول، فلا عجب أن يطلب الحقُّ - جل وعلا- من العباد جميعاً أن يتخذوه أسوة له وقدوة.

و لم لا ؟ وهو ﷺ في مرتبة الكمال البشري، فللناس جميعاً على اختلاف أجناسهم وألوانهم، وتباين معيشتهم أسوة فيه. لا من لفظه الكريم وحكمته البالغة فحسب، بل من سلوكه وعمله وسعيه.

فما أمر بشيئ إلا كان أسبق الناس إليه، وما نهى عن شئ إلا كان أبعد الناس عنه. ولقد نبهنا ﷺ إلى طريق العصمة وسُبل النجاة « **تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ، لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللَّهِ، وَسُنَّةَ نَبِيِّه** »[1]

✿✿✿

أيها القارئ الكريم:

لقد تحدثنا آنفا عن الصديق ﷺ وعرفنا فضله من لسان الصادق الأمين الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ.

وقد عرفنا سرَّ مكانته. وأنه يكمن في شئ وقر في قلبه. إيمان لا يَضْعف، وثقة في الله لا تتزعزع. صدق إخلاصٍ وحسنُ توكلٍ.

روى الترمذي عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ: « أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالاً فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ، إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا. قَالَ: فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا

(١) رواه مالك في الموطأ.

أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ ؟ قُلْتُ: مِثْلَهُ. وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ ؟ قَـالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. قُلْتُ: وَاللَّهِ لا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا » [1]

وقد رأيت ما قاله لابن الدِّغنّه: « إني أرد إليك جوارك، وأرضى بجوار الله ورسوله ».

إنها الكلمة التي تحلو دائماً لأبي بكر - ويبرهن بسلوكه وعمله على صدقها. لقد ردَّ جوارَ ابن الدِّغنة راضياً بجوار الله ورسوله عندما أراد ابنُ الدغنة - بتحريض من قريش - أن يحمله على ترك القراءة والصلاة بفناء داره. وكان أبو بكر ﷺ رجلاً بَكَّاءاً لا يملك دمعَهُ حين يقرأ القرآن. وَكانَ أبناء المشركين ونساؤهم يزدحمون عليه يتعجبون منه وينظرون إليه. فأفزع ذلك أشرافَ قريش. فأرسلوا إلى ابن الدغنة يحرضونه على أن يردَّ جوار أبي بكر أو يَتْركَ القراءة والصلاة بفناء الدار. فلما خاطبه في ذلك. وكان أبو بكر قد نزل في جواره - قال أبو بكر: فإني أردُّ إليك جوارك، وأرضى بجوار الله ورسوله.

بل انظر وقد أعتق العديد من المستضعفين المعذبين ومنهم بلال ﷺ انظر إليه ووالِدْ أبو قُحافة يقول له: يا بني، إنِّي أراك تُعْتِقُ رقاباً ضِعَافاً، فلو أنك إذ فَعَلْتَ ما فعلت أعتقت رجالاً جُلْداً يمنعونك ويقومون دونك ؟ فقال أبو بكر ﷺ: يا أبت إنما أُريد ما أريد لِلَّه ﷻ.

ألا تراه وقد مرَّ على بلال ﷺ وهو يعذَّب فيقول: لأُمَيَّةَ بنِ خَلَف: ألاَ تَتَّقِي اللهَ في هذا المسكين ؟ حتى متى ؟ قال: أنت الذي أفسدته فأنْقِذْه مما ترى. فقال أبوبكر: أفعلُ: عندي غُلاَم أسْودُ أجْلَدُ منه وأقوى - عَلى دينك أعطيكه به، قال: قد

(١) رواه الترمذي.

قبلتُ، فقال: هو لك. فأعطاه أبو بكر الصديق ﷺ غلامَه ذلك، وأخذ بلالاً فأعتقه.

ثم أعتق معه على الإسلام - قبل أن يُهاجرَ إلى المدينة - ستَّ رقاب، بلالٌ سابعُهم.

أخي المسلم:

ذاك شأن أبي بكر، يفعل ما يفعلُ ابتغاء مرضات الله، إن سئل وقد قدَّم ماله كله: ما أبقيت لأهلك ؟ تراه يقول: أبقيت لهم الله ورسوله. وإن رد جوار ابن الدغنة الذي حاول أن يمنعه من القراءة والصلاة في فناء الدَّار، خوفاً على أبناء المشركين ونسائهم أن يفتنهم بقراءته التي كان يَرِقُّ فيها ويبكي. إن ردَّ جواره قال: إني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله ورسوله. وإن سأله والدُه أن يُعْتق الرجال الجلْدَ لكي ينتفع بخدمتهم ومعاونتهم ويجني ربحاً من ورائهم، أبَانَ له أنه لم يفعل ذلك إلا للَّهِ وحده ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ (١)

إنه يعلن دائماً رضاه عن الله، وثقته فيه وحُسنَ توكله عليه. يُعْلنه بعمله وسلوكه. لقد ملأ حب الله وحبُّ رسوله قلبَه، حتى طوَّع كلُّ شئ من أمرِه - بتوفيق الله - إلى طاعة الله ومرضاته.

انظر إليه ماذا يقول لعمر عندما واجَه حروب الردة بعد وفاة رسول الله ﷺ يقول له: « طلبت نصرتك فجئتني بخذلانك، أفينتقص هذا الدين وأبو بكر حي ؟! والله لو منعوني عِقالاً كانُوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلهم عليه متى أستمسك السيف بيدي، ولو قاتلتهم وحدي ».

---

(١) الليل : ١٩، ٢٠.

إن حبَّ الله ورسوله يعني عنده القيامَ بحقِّ الله عليه وطاعةَ الرسول فيما دَعا إليه.

وأعجبُ ما ترى من موافقة يوم أن جاء وقد أُخبِرَ بوفاة أحبِّ الناس إليه ﷺ.

إنه الموقف الذي رأيناه فِعلاً خليفةً لرسول الله قبل أن يولّي. لقد بصَّر الناسَ الهدى، وعرفهم الحقَّ الذي عليهم. وخرجوا به يتلون ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[1]

روى البخاري عَنْ عَائِشَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا – زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ مَاتَ وَأَبُو بَكْرٍ بِالسُّنْحِ – وهي منازل بني الحارث من الخزرج بالعوالي بينه وبين المسجد النبوي ميل – فَقَامَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللَّه مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّه ﷺ. قَالَتْ: وَقَالَ عُمَرُ: وَاللَّه مَا كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي إِلاَّ ذَاكَ، وَلَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ، فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِيَ رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ، فَقَبَّلَهُ، قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه لا يُذِيقُكَ اللَّهُ الْمَوْتَتَيْنِ أَبَدًا. ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: أَيُّهَا الْحَالِفُ عَلَى رِسْلِكَ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ فَحَمِدَ اللَّهَ أَبُو بَكْرٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَلا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لا يَمُوتُ وَقَالَ: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[2]، ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ

(١) آل عمران : ١٤٤.

(٢) الزمر : ٣٠.

عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [1] قال: فَنَشجِ الناسُ يبكون. [2]

أخي المسلم:

إنه ثبات الإيمان في أمر عظيم. وإنها أخلاقُ الرسول تُرى في أصحابه الَّذين أُمرنا أن نستمسك بسنتهم « **عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ** » [3]، « **اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ** » [4]

رضي الله عنهما وعن صحابة رسول الله ﷺ أجمعين.

✿✿✿

أيها القارئ الكريم:

ما زلنا مع أصحاب رسول الله ﷺ نرى آثارَ أخلاقِ الرسول ﷺ فيهم، وكيف تأدبوا بأدبه وتخلقوا بخلقه، كيف كان أحبَّ إليهم من أنفسهم بل كيف آزروه ونصروه.

ونحن مع الصاحب الأول، رفيق السفر والحضر، الصاحب الشفيق أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

لقد تعرفت على فضله من لسان الصادق الأمين ﷺ وعرفتَ سَرَّ مكانته وأن مَرْجِعَ ذلك إلى إيمان لا يَضْعُف، وثقةٍ في الله لا تتزعزع. صِدْقُ إخلاصٍ وحسنُ توكلٍ.

---

(١) آل عمران : ١٤٤.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه أبو داود.

(٤) رواه الترمذي

obeikandl.com

وقد رأيته في أحرج الساعات وأخطر المواقف يمضي واثقاً في الله منفّذاً أمْرَه. وما من باب من أبواب الخير إلا وترى الصديق مسرعاً إليه داخلاً فيه. ولذا فإنه سُيْدعى يوم القيامة من أبواب الجنة كلّها كما أخبر الرسول ﷺ.

وروى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: « مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّه نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّة: يَا عَبْدَ اللَّه، هَذَا خَيْرٌ. فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاة دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاة،وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَاد دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَاد، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَام دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّان، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَة دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَة. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّه، مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَاب مِنْ ضَرُورَة،فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَاب كُلِّهَا ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ » (١)

الله أكبر يُدعى من أبواب الجنة كلّها؛ لأنه ما من باب للخير إلا وترى الصديق ﷺ يستبق إليه..

إنه حين دُعيَ إلى الإسلام لم يتردد ولم يتوقف. بل أظهر الإسلامَ ودعا إلى الله ورسوله. فأسلم بدعائه عددٌ من كبارِ الصحابة – رضوان الله عليهم –.

ومن يوم إسلامه إلى أن أذن اللهُ له في لقائه وهو يسعى سعْي الآخرة ويرجو رحمَة ربِّه. كلُّ عمل من أعماله ترى فيه صِدْق الإخلاص وحسن التوكل. كانت نِعْمُ الله في يده مُعَبِّرة عن شُكرِ اللهِ الذي أنعم عليه، فكم قدَّم من عطاء، وأعتق من رقاب، وهو في ذلك كلّه يرى أن الفضل للهِ وحده. فلا يزداد بنعم الله إلا تواضعاً كلُّ عمل له صادرٌ عن حسن قصدٍ ومعرفةٍ لحق الله.

---

(١) رواه البخاري.

خطب يوماً فجاء في خطبته بعد أن حمد الله وأثنى عليه « اعلموا عبادَ الله أنَّ الله قد ارتهن بحقِّه أنْفُسَكُم. وأخذ على ذلك مواثيقكم، واشترى منكم القليلَ الفاني بالكثير الباقي وهذا كتابُ اللهُ فيكم لا تَفْنَى عجائبُه، ولا يُطْفَأُ نُورُه. فصدِّقوا قولَه، وانتصحوا كتابه، واستبصروا فيه ليوم الظلمة، فإنما خلقكم للعبادة، ووكَّل بكم الكرامَ الكاتبين، يعلمون ما تفعلون. ثم اعلموا عباد الله أنكم تَغْدُون وتَروحون في أجَل قد غُيِّبَ عنكم علمُه. فإن استطعتم أن تنقضي الآجال وأنتم في عمل الله فافعلوا ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فسابقوا في مَهَل آجالكم قبل أن تنقضي آجالُكم. فإن قوماً جعلوا آجالَهم لغيرهم ونَسُوا أنْفُسَهم. فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم. النجا. النجا. إن وراءكم طالبٌ حثيث، أمْرُه سريع ».

ولما حضرته الوفاة دعا عمرَ – رضي الله عنهما – فقال له: « اتق الله يا عمر، واعلم أن لله ﷻ عملاً بالنهار لا يَقْبلهُ بالليل، وعملاً بالليل لا يقبَلُه بالنهار. وأنه لا يقبل نافلةً حتى تؤدى الفريضة. وإنما ثَقُلت موازين مَن ثقلت موازينُه يوم القيامة باتباعهم الحقَّ في الدنيا وثِقَلِه عليهم. وحُقَّ لميزان يوضع فيه الحق غداً أن يكون ثقيلاً، وإنَّما خفت موازينُ من خفت موازينُه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفَّته عليهم، وحق لميزان يوضع فيه الباطل غداً أن يكون خفيفاً، وإن الله تعالى ذكر أهل الجنة فذَكَرهم بأحسنِ أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم. فإذا ذكرتَهم قُلتَ: إنِّي لأخافَ أن لا ألحق بهم. وإن الله تعالى ذكر أهْلَ النار فَذَكرهم بأسوأ أعمالهم ورَدَّ عليهم أحْسَنَه. فإذا ذكرتهم قلتَ: إني لأرجو أن لا أكون مع هؤلاء؛ ليكن العبدُ راهباً لا يتمنى على الله، ولا يقنطُ من رحمته ﷻ فإن أنت حفظت وصيتي فلا يكن غائب أحبَّ إليك من الموت – وهو آتيك – وإن أنت ضيعت وصيتي فلا يكن غائبٌ أبغضَ إليك من الموت ولستَ بمُعْجِزه ».

أخي المسلم:

إنَّ في سيرة أصحاب الرسول ﷺ – وقد تخلّقوا بخُلقه – أُسوة حَسَنَةً.

والرسول ﷺ يأمرنا أن نستمسك بسُنَّته وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديِّين؛ فإنه لا نجاة إلا باتباع طريقهم، ولا فوز إلا في التمسك بسُنَّتهم.

روى الترمذي عَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّه ﷺ يَوْمًا بَعْدَ صَلاة الْغَدَاة مَوْعظَةً بَليغَةً ذَرَفَتْ منْهَا الْعُيُونُ وَوَجلَتْ منْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إنَّ هَذه مَوْعظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّه؟ قَالَ: أُوصيكُمْ بتَقْوَى اللَّه وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَة، وَإنْ عَبْدٌ حَبَشيٌّ؛ فَإنَّهُ مَنْ يَعشْ منْكُمْ يَرَى اخْتلافًا كَثيرًا، وَإيَّاكُمْ وَمُحْدَثَات الأُمُور؛ فَإنَّهَا ضَلالَةٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلكَ منْكُمْ فَعَلَيْه بسُنَّتي وَسُنَّة الْخُلَفَاء الرَّاشدينَ الْمَهْديِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بالنَّوَاجذ » [1]

أخي المسلم:

لقد تأثر أبو بكر برسول الله ﷺ كل التأثر، فكان أشد الناس طاعة ومعرفة له، لم يُعرف عنه قط أنه ولّى في مواطن الشدة والبأس، بل كان أقربَ الناس إلى رسول الله ﷺ، وكان دائماً في طليعة التائبين.

كان وفيًّا صادقاً، شجاعاً حكيماً، شديدَ الغيرةِ على حُرمات الله، شديدَ الورعِ كثيرَ البكاء. يبتغي دائماً مرضات الله.

عن عروة بن الزبير بن عائشة - رضي الله عنها - قالت: لبستُ يوماً درعاً جديدة، فجعلتُ أنظرُ إليه وأُعْجِبْتُ به فقال أبو بكر: ما تنظرين ؟ إن الله ليس بناظر إليك. قلت: ومم ذاك ؟ قال أما علمت أن العبد إذا دخله العُجْب بزينة الدنيا مقته ربه ﷻ حتى يفارق تلك الزينة ؟ قالت: فنزعته فتصدقت به. فقال أبو بكر: عسى ذلك أن يكفر عنك.

رضي الله عنك يا أبا بكر، ورضي الله عنكِ يا أُمَّ المؤمنين.

❁❁❁

(١) رواه الترمذي.

أثر الأخلاق النبوية في حياة الصحابة

مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه

أيها القارئ الكريم:

نمضي مع صحابة رسول الله ﷺ نرى آثار أخلاقه ﷺ فيهم. وقد تخلّقوا بخُلقه، وتأدبوا بأدبه، فكانوا هداةً مهديين، ودعاةً صادقين، أعزَّ اللهُ بهم دينه ونشر بهم شريعتَه.

نريد أن نمضي مع أمير المؤمنين عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه.

نعرف فضله أولاً من لسان الصادق الأمين الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ.

روى البخاري عن أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَاهُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قُمْنَ يَبْتَدِرْنَ الْحِجَابَ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضْحَكُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلاءِ اللاَّتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ. قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ يَهَبْنَ. ثُمَّ قَالَ: أَيْ عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ أَتَهَبْنَنِي وَلا تَهَبْنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. قُلْنَ: نَعَمْ؛أَنْتَ أَفَظُّ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلاَّ سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ » (١)

---

(١) رواه البخاري.

الله أكبر.. يراك الشيطان يا أميرَ المؤمنين فيمضي بعيداً ؟ انتصرت على نفسك فخذلت أعدى أعدائك، ما لقيك الشيطان سالكاً فجّاً قط، إلاّ سَلَكَ فجّاً غيرَ فجِّك.

وروى البخاري أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ قَالَ: « بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ، فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا. فَبَكَى عُمَرُ وَقَالَ: أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ » [1]

أخي المسلم:

لم أرَ أعجبَ من الإيمان إذا خالط القلوب، إنه يُحْيي النفوس ويجعلُها تنظر بنور الله، وتتأمل العواقبَ فلا تخدعُ بشئ من الرغائب.

هذا عمرُ بن الخطاب كان شديد العدَاء لرسول الله ﷺ. فلما هداه الله إلى الإسلام رأينا ورعاً وتُقىً، وقوة في الحق والعدل، هو مضربَ المثل على مَرِّ الأيام.

إنَّ هذا التحول في نفس عمر ﷺ لهو أعظمُ دليل على عظمة الإيمان وما يصنعه في النفوس، إنَّ الله أعَزَّ بالإسلامَ قوماً وأذلَّ آخرين. فمن أسلم لله أعزَّه الله بهذا الدين. ومَن ابتغى العزَّ في غيره أذلَّه الله، وهو في الآخرة من الخاسرين ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾** ﴾ [2]

لقد جهر عمر بالحق منذُ اهتدى إليه، وظلَّ قويّاً في الحق لا يلين ولا يضعف حتى أذِنَ الله له في لقائه.. لقد طُعِنَ فما شغلته نفسُه ولا شغله جُرحُه عن إبداء النصيحة للمسلمين.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) آل عمران : ٨٥

لقد جئ له بنبيذ فشربه فخرج من جوفه، ثم جئ بلبن فشربه فخرج من جُرحه، وجاء الناس فجعلوا يُثْنُون عليه.

وجاء رجلٌ شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك، من صحبةِ رسول الله ﷺ، وقِدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وُلِّيت فعدلت، ثم شهادة. قال: وددت أن ذلك كفافٌ لا عليَّ ولا لي. فلما أدبر إذا إزارُه يَمسَّ الأرض. قال: ردُّوا عليَّ الغلام. قال: يا ابن أخي، ارفع ثوبك؛ فإنه أتقى لثوبك وأتقى لربك.

الله أكبر.. لم يُشْغل عن أداء النصيحة في هذه اللحظة لم يشغل بنفسه أو بِجُرحه. بل يأمر بردّ الغلام ليقول له ما قال.

وانظر إليه وهو يستأذن في أن يدفن مع صاحبيه رسول الله ﷺ وأبي بكر ﷺ يقول لابنه عبد الله: انطلق إلى عائشةَ أمَّ المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمرُ السلام. ولا تقل: أمير المؤمنين؛ فإنِّي لستُ اليوم للمؤمنين أميراً - وقل: يستأذن عمرُ بنُ الخطاب أنْ يُدفَن مع صاحبيه. فسلَّم واستأذن، ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي. فقال: يقرأ عليك عمرُ بنُ الخطاب السلام، ويستأذن أن يُدفَن مع صاحبيه، فقالت: كنت أُريده لنفسي، ولأوثرنَّه بِهِ اليومَ على نفسي. فلما أقبل قيل: هذا عبد الله بنُ عمر قد جاء.

قال: ارفعوني. فأسنده رجلٌ إليه، فقال: ما لديك ؟ قال: الذي تحبُّ يا أمير المؤمنين. أذِنَتْ، قال: الحمد لله، ما كان من شيءٍ أهَمُّ إليَّ من ذلك، فإذا أنا قضيت فاحملوني ثم سلِّم، فقل: يستأذن عمرُ بن الخطاب. فإن أذنت لي فأدخلوني، وإن ردتني رُدُّوني إلى مقابر المسلمين..

انظر إلى حُبِّه أن يكون مع صاحبيه، وانظر إلى الخُلق الرفيع في طلب الإذن من عائشة - رضي الله عنها - حتى يستوثق من رضاها. فما كان حبُّه أن يكون مع

رسول الله ﷺ وصاحبه يُنْسِيه حقها. وقد آثرته وهي تعلم فَضْلَه على نفسها.

إن الإيمان قد جعل من هذه النفوس منارات يُستَضاءُ بها ويُقْتدى بسَعْيِهَا.

وهل تعظمُ النفوس بغير الإيمان ؟

وهل تعز بغير اليقين ؟

إن عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه كان يقول للمجاهدين الذين خرجوا في سبيل الله لردع أهل البغي والفساد يقول لهم: « ما لم ننتصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا » إنها كلمةٌ منبثة عن مَنْهج عمر مع نفسه. إنه يُعد للنَّصر أوَّلاً فَضَائل النفوس وأخلاقَها « إن ذنُوب الجيش أخوفُ عليهم من عدوِّهم » وهو يوجه سعدَ بن أبي وقاص قائداً لجيش المسلمين يقول له: « يا سعد، لا يغرَّنك إن قيل خالُ رسولِ الله وصاحبُ رسول الله؛ فإن الله لا يمحو السئ بالسيئ، ولكن يمحو السيء بالحسن، واعلم أنه ليس بين الله وبين أحدٍ نسبٌ إلا طاعته، فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء، لا يتفاضلون إلا بالتقوى فانظر الأمر الذي كان عليه رسول الله فالزمه ».

بذا يتم الانتصار - انتصار الإنسان على شهوات نفسه أولاً، ثم انتصاره على أعدائه ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧ ﴾ [1]

✿✿✿

أيها القارئ الكريم:

إن أخلاق الرسول ﷺ - وقد **كان خُلُقُهُ القُرآن** - قد خَرَّجت عُظَمَاء الرجال من الصحابة الكرام الذين اختصَّهم الله وشرفهم وأعزَّهم بصحبةِ نبيِّه، ومن المسلمين الصادقين في كل عصر.

---

(١) محمد : من الآية ٧.

إن الدعوة الإسلامية قد بعثت كوامن العظمة وأظهرت خصائص الرجال، فما كان لنا أن نَسْمَع بعمرَ بنِ الخطاب لولا بَعْثَةُ محمد ﷺ.

إن عمرَ بن الخطاب وليدُ الدعوة الإسلامية، بما عُرِف وبغيرها لم يكن ليُعْرَف.

إن الدعوة الإسلامية - وقد فتحت للخير أبواباً - قد كشفت معادن الناس وأظهرت خيارهم.

✿✿✿

ونحن مع الخليفة العادل أمير المؤمنين عمرَ بن الخطاب ﷺ نراه في بعض مواقفه ونرى آثار الأخلاقِ النبوية فيه.

لقد تأثر ﷺ برسول الله بالغ التأثر. فكان جُنْدِيَّ الحق الذي جاء به محمد ﷺ

تحدث بعضُ الناس عن شدته، وهابوه عندما تولّى أمرَ الخلافة بعد أبي بكر الصديق - رضي الله عنهم أجمعين - فقال ﷺ: « بلغني أن الناس هابوا شدتي، وخافوا غلظتي، وقالوا: قد كان عمرُ يشتدُّ علينا ورسول الله ﷺ بين أظهُرِنا، ثم اشتد وأبو بكر والينا دونه، فكيف وقد صارت الأُمور إليه ؟ ومن قال ذلك فقد صدق. فقد كنت مع رسول الله ﷺ فكنت خادمه، وكان مَنْ لا يَبْلُغُ أحدٌ صِفَتَهُ من اللين والرحمة وكان كما قال الله ﷻ: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [1] فكنت بين يديه سيفاً مَسْلُولاً حتى يُغْمِدَني أو يَدَعَني فأمضي. فلم أزل مع رسول الله ﷺ على ذلك حتى توفاهُ الله وهو عنِّي راض، والحمد لله على ذلك كثيراً وأنا به أسعد. ثم وُلِّيَ

(١) التوبة : من الآية ١٢٨.

أمْرَ المسلمين أبو بكر فكان مَنْ لا يُنكرون دِعَتَه وكرمَه ولينَه، فكنت خادِمَهُ وعَوْنَه، أخلطُ شدتي بلينه، فأكونُ سيفاً مسلولاً حتى يَعْمِدَني أو يدعَني فأمضي. فلم أزل معه كذلك حتى قبضه الله ﷻ وهو عني راض، والحمد لله على ذلك كثيراً وأنا به أسعد، ثم إني وُلّيتُ أُمورَكم أيّها الناس فاعلموا أن تلك الشدة قد ضُوعِفَتْ، ولكنَّها إنما تكون على أهل الظلم والتَّعدي على المسلمين، فَأمَّا أهلُ السلامة والدين والقسط فَأَلْيَنُ لهم من بعضٍ لبعض »

إنها الشدة في مجال تحقيق العدل والرحمة بين الناس. إنه كما قيل: « كان شديد الألم من ظُلْم الظالم، شديدَ الخَجَلِ من خُذْلانه المظلوم »

كانت شدتُّه في الحق رادعةً للظالم مُنصفةً للمظلوم. إنها شدةُ الواثق في الله المعتمد عليه، لا تأخذه فيه لومةُ لائم. إن شدَّته كانت على نفسه قبل أن تكون على الناس. إن انتصاره في تحقيق الحق والعدل جاء بعد انتصاره على نفسه وتأديبه لها. فلم يكن ليؤدب الناس وقد نسي نفسه، وما كان له أن ينتصر على أهواء الناس وهو مهزومٌ أمام هواه.

« إنَّك لن تنصر الله في معركـــة حتى تنصره في نفسك بتغليب أمره على هواك »، وكذلك كان عمرُ بنُ الخطاب ﷺ، نَصَرَ اللهَ في نفسه فاستطاع أن يَنْصُر الله في جميع مواقفه.

وعمرُ الذي كان باديَ الشدة كان أعطفَ خلْقِ الله على الضعفاء. لم يُرَ قاسياً قط إلا باسم واجب أو في سبيل واجب.

وانظر إلى عطفه ورأفته في مواطن العطف والرحمة.

قال أسلم: خرجنا مع عمر ﷺ إلى حَرَّةِ واقِم - وهي إحدَى حَرَّتَي المدينة وهي

الشرقية - حتى إذا كنا بضرار إذا نارٌ - تُؤَرَّث - أي: تُوقَد: فقال: يا أسلم إني أرى ها هنا ركباناً قَصَرَ بهم الليلُ والبردُ، انطلق بنا.

فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم، فإذا بامرأةٍ معها صبيانٌ وقدْرٌ منصوبة على نار. وصبيانها يتضاغَون، فقال عمرُ: السلام عليكم يا أهل الضوء. وكره أن يقول: يا أصحاب النار. فأجابته امرأة: وعليكم السلام. فقال: أأدنو ؟ فقالت: ادْنُ بخير أوْ دَعْ. فدنا منها فقال: ما بالكم ؟. قالت: قَصَرَنَا الليلُ والبرد. قال: وما بال هؤلاء الصبية يتضاغون ؟ قالت: الجوع. قال: وأيُّ شئ في هذه القدر ؟ قالت: ماءٌ أُسْكِتُهم به حتى يناموا، واللهُ بيننا وبين عمر. فقال: أيْ رحِمك الله، وما يدري عمرَ بكُم ؟ فقالت: يتولى أمرنا ثم يَغْفَلُ عنا ؟

قال أسلم: فأقبل عَليَّ ثم قال: انطلق بنا.

فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق. فأخرج عَدْلاً من دقيق وكُبَّةً من شحم. وقال: احملْه عَلَيَّ. قلتُ: أنا أحمِلُهُ عنك. قال: أنت تحمل وزري يوم القيامة لا أمَّ لك؟. فحملته عليه، فانطلق وانطلقتُ معه إليها نهرول. فألقى ذلك عندها، وأخرج من الدقيق شيئاً فجعل يقول بها: ذُرِّي عليَّ وأنا أحُرُّ لَكْ - يقول: ذُرِّي الدقيق لأتخذ لك حريرة - والحريرة هي الحَسا من الدَّسم والدقيق - وجعل ينفخ تحت القدر، وكانت لحيتُه عظيمة، فرأيت الدُّخَان يخرج من خلالها حتى طبخ لهم. ثم أنزلها وأفرغ الحريرة في صَحْفَةٍ وهو يقول لها: أطعميهم وأنا أسْطحُ لهم - أي أبْسُطُهُ حتى يَبْرُدُ. ولم يزل حتى شبعوا، وهي تقول له: جزاك الله خيراً، كنت بهذا الأمر أولى من أمير المؤمنين.

رضي الله عنك يا عمر وعن صحابة رسول الله أجمعين.

لقد كشف الإسلام عن معدنك فَعُرِفت به وعشت له، وكنت جديراً بمكانك ومكانتك وحُبِّ رسول الله، وأنت تتخلق بأخلاقه وتتأدب بأدبه.

أيها القارئ الكريم:

روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: « لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنْ الأمَمِ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ » زَادَ زَكَرِيَّاءُ بْنُ أَبِي زَائِدَةَ عَنْ سَعْدٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَقَدْ كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رِجَالٌ يُكَلَّمُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ، فَإِنْ يَكُنْ مِنْ أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَعُمَرُ. (١)

وروى البخـــاري عن أبي سَعِيد الْخُدْرِيَّ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: « بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَّ، وَمِنْهَا مَا دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ. قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّه ؟ قَالَ: الدِّينَ » (٢)

كم لهذا الدين من آثارٍ في نفوس الصادقين. إنه نعمةُ الله من نالها لم يَفُته شئ ومن حُرِمَها فقد فَاتَه كلُّ شئ « إِنَّ اللَّهَ ﷻ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لا يُحِبُّ، وَلا يُعْطِي الدِّينَ إِلاَّ لِمَنْ أَحَبَّ » (٣)

« لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنْ الأمَمِ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ »

قال العلماء: المحدَّث: هو الرَّجلُ الصادقُ الظنِّ، وهو من أُلْقِيَ في روعه شئٌ من قِبَلِ الملأِ الأعلى فيكونُ كالذي حدَّثه غَيْرُه به. وقيل: من يجري الصواب على

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه أحمد.

لسانه من غير قصد. وقيل: مُكلَّم أي: تكلمه الملائكة بغير نبوة.

وقد ورد من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً ولفظه: قيل: يا رسول الله وكيف يُحدَّث ؟ وقد ورد من حديث قال: « **تتكلم الملائكة على لسانه** » [1] إنه يُلْهَمُ الصواب الذي يُلقَى على فيه.

« **إن الله جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ** » كما أخرج الترمذي من حديث ابن عمر، وأحمد من حديث أبي هريرة.

والسبب في تخصيص عمر لكثرة ما وقع له في زمن النبي ﷺ من الموافقات التي نزل بها القرآن الكريم مطابقاً لها.

ومن المواضع التي جاء القرآن فيها موافقاً لقول عمر رضي الله عنه: رأيه في أسرى بدر.

روى الإمام أحمد - بإسناده - عن ابن عباس، عن عمر -رضي الله عنهم- قال: « **لَمَّا كَانَ يَوْمُئِذٍ الْتَقَوْا، فَهَزَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُشْرِكِينَ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلاً، وَأُسِرَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلاً، فَاسْتَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَا بَكْرٍ وَعَلِيًّا وَعُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: يَا نَبِيَّ اللَّهِ هَؤُلاءِ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةُ وَالإِخْوَانُ، فَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ الْفِدْيَةَ، فَيَكُونُ مَا أَخَذْنَا مِنْهُمْ قُوَّةً لَنَا عَلَى الْكُفَّارِ، وَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ فَيَكُونُونَ لَنَا عَضُدًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ قَالَ: قُلْتُ: وَاللَّهِ مَا أَرَى مَا رَأَى أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَنِي مِنْ فُلانٍ - قَرِيبًا لِعُمَرَ - فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنَ عَلِيًّا رضي الله عنه مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنَ حَمْزَةَ مِنْ فُلانٍ أَخِيهِ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، حَتَّى يَعْلَمَ اللَّهُ أَنَّهُ لَيْسَتْ فِي قُلُوبِنَا هَوَادَةٌ**

(١) رواه الطبراني.

لِلْمُشْرِكِينَ، هَؤُلاءِ صَنَادِيدُهُمْ وَأَئِمَّتُهُمْ وَقَادَتُهُمْ. فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ، وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ، فَأَخَذَ مِنْهُمْ الْفِدَاءَ، فَلَمَّا أَنْ كَانَ مِنْ الْغَدِ قَالَ عُمَرُ ﷺ: غَدَوْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَإِذَا هُوَ قَاعِدٌ وَأَبُو بَكْرٍ ﷺ وَإِذَا هُمَا يَبْكِيَانِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي مَاذَا يُبْكِيكَ أَنْتَ وَصَاحِبَكَ، فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا. قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: الَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ الْفِدَاءِ. لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُكُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ - لِشَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ - وَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ ﴾ (١)(٢)

بكى النبي ﷺ وأبو بكر وقال رسول الله ﷺ: « **إن كاد ليمَسُّنَا في خلاف ابن الخطاب عذابٌ عظيم، ولو نزل العذاب ما أفلت منه إلا ابنُ الخطاب وسعدُ بن معاذ** »؛ لأن سعدَ بن معاذ كان قد قال: الإثخان في القتل أحبُّ إليَّ من استبقاء الرجال.

أخي المسلم:

مواقفُ لعمر جاء القرآن موافقاً لها ومؤيداً: « **إن الله جعلَ الحقَّ على لسانِ عمر وقلبه** »

(١) الأنفال : ٦٧-٦٩.

(٢) رواه أحمد.

مرجع ذلك إلى ما ذكره الرسول ﷺ في الحديث الصحيح: « **بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَّ، وَمِنْهَا مَا دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ. قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: الدِّينَ** » [1]

قالوا: وجه تعبير القميص بالدين: أن القميص يَسْتُر العورة في الدنيا والدينُ يسترها في الآخرة ويحجبها عن كل مكروه، واتفق أهل التعبير على أن القميص يُعَبَّر بالدِّين، وأن طوله يدل على بقاءِ آثار صاحبه من بعده. وفي الحديث أن أهل الدين يتفاضلون فيه، وأن عمرَ ممن حصل له الفضل البالغ في الدين.

وروى البخاري عن عبد الله بن عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: « بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ، فَشَرِبْتُ حَتَّى إِنِّي لأَرَى الرِّيَّ يَخْرُجُ فِي أَظْفَارِي، ثُمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ. قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: الْعِلْمَ » [2]

وفي الحديث أن علمَ النبي ﷺ لا يبلغ أحَدٌ درجَته فيه. وأمَّا إعطاؤه فَضْله عمر ففيه إشارة إلى ما حصل لعمر من العلم بالله بحيث كان لا يأخُذُه في الله لومةُ لائم.

أخي المسلم:

الدين والعلم. العلم بالله وطاعتُه وإخضاعُ كلِّ أمرِك له. كذلك كان عمر رضي الله عنه شديد الخشية من الله، شديد الحب له، شديد الغيرة على حرمات الدين والزود عن المسلمين، وكان رضي الله عنه سريع البكاء إذا جاشت نفسه بالخشوع بين يدي الله، وأثر البكاء في صفحتي وجهه حتى كان فيهما خطان أسودان رضي الله عنه.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

أيها القارئ الكريم:

عرف الناسُ عن عمرَ بن الخطاب عدْلَه وشدَّته في الحق.

عَدْلٌ صار مضْربَ المثل، وشدةٌ على الباطل. حتى أمن الناس.. وقال من رآه ينامُ في ظل شجرة: ((حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر)).

إنَّ عمرَ بن الخطاب قد شمل الدينُ كلَّ أمره، فخشعت جميعُ جوارحه للحق وخضعت لأمر الله، وقد ذكرت لك رؤيا رسول الله ﷺ في شأنه، في صحيح البخاري عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: « **بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَّ، وَمِنْهَا مَا دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ. قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: الدِّينَ** »[1]

الدين الذي سيطر على نفسِ عُمَر وأخْضَع كلَّ جوارحه، فلا ترى من أموره أمْراً يندُّ عنه، ولا ترى جارحةً مِنْ جَوَارِحِهِ إلاَّ وهي مستورةٌ به.

هذا الدين هو الذي عاش عُمُر له، وعُرف به صادقاً مُخْلِصاً يبْتغي وجهَ الله وينشد رضاه. هذا الدين كان عمر حريصاً أنْ يَرى الناس وقد أخذوا أنفُسهم به؛ لتَشمَلَهم رحمته، وهو في هذا يقتدي بنبي الرحمة الذي أرسله الله رحمة للعالمين.

انظر إليه وهو يتفقد أمر رعيته ويسأل عن رجل يعرفه. فقيل له: إنه يتابع الشراب فكتب إليه: « إني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو، غافرُ الذنب، وقابلُ التوب، شديدُ العقاب، ذو الطول، لا إله إلا هو، إليه المصير » فلم يزل الرجل يرددها ويبكي حتى صحَّت توبتُه، وأحسن الإنابة إلى الله، وبلغت توبتُه عمر، فقال لمن حضروا مجلسه: « هكذا فاصنعوا، إذا رأيتُم أخاً لكم زلَّ زلَّةً فسدِّدوه، ووفقوه، وادعوا الله له أن يتوب عليه، ولا تكونوا أعواناً للشيطان عليه ».

---

(١) رواه البخاري.

قلت: إنه يقتدي في ذلك بنبي الرحمة ﷺ وقد جاءه أعرابيٌّ يطلب منه شيئاً فأعطاه ثم قال: **آحسنْتُ إليك** ؟ قال الأعرابيُّ: لا ولا أجملتَ، فغضب المسلمون وقاموا إليه فأشار إليهم أن كُفُّوا ثم قام ودخَلَ مَنْزِلَهُ وأرْسَلَ إليه ﷺ وزَادَه شيئاً، ثم قال: **آحسنتُ إليك** ؟ قال نعم، فجزاك اللهُ من أهلٍ وعشيرةٍ خيراً. فقال له النبيُّ ﷺ: **إنك قُلتَ ما قلتَ وفي نفس أصحابي من ذلك شئٌ، فإنْ أحبَبْتَ فقل بين أيديهم ما قلتَ بين يديَّ؛ حتى يذهبَ ما في صدورهم عليك**، قال: نعم. فلما كان الغَدُ أو العَشِيُّ جاءَ، فقالَ ﷺ: **إنَّ هذا الأعرابيَّ قال ما قال فزِدناهُ فَزَعَمَ أنَّه رضِي، أكذلك** ؟. قال: نعم، فجزاك اللهُ من أهل وعشيرة خيراً. فقال النبي ﷺ: **مَثَلي ومَثلُ هذا مَثَلُ رجُلٍ له ناقَةٌ شرَدَت عليه فاتَّبَعَها الناسُ فلم يزيدُوها إلاَّ نفوراً فناداهُم صاحبُها: خلُّوا بيني وبينَ ناقَتي، فإني أرْفَقُ بها منكم وأعْلَم، فتوجَّه لها بَيْنَ يَديها، فأخَذَ لها من قُمَامِ الأرض فردَّها حتى جاءَتْ واستناخَتْ وشَدَّ عليها رحْلَها واستوى عَلَيْها، وإني لو تركتكم حيثُ قال الرجُلُ ما قال، فقتلتموه دخل النار.**

إنها الرحمة، الرحمةُ بالناس في الأخذ بأيديهم إلى مواطن الفوز والنجاة، وتيسير سبل الخير لهم وعدمِ معاونة الشيطان عليهم ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (١)

في الحديث المتفق عليه عن عائشة – رضي الله عنها – أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ؟ قَالَ: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ

(١) التوبة : ١٢٨.

بْنِ عَبْدِ كُلالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ؛ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الأَخْشَبَيْنِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا » [1]

رحمةٌ جُبل الرسول عليها، وبُعث بها، واقتدى به أصحابه، فعاشوا رحماء ينشدون الخير للناس، ويؤثرونهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة. سخَّروا دنياهم لطاعة ربهم، وافتدوا الحق بأنفسهم؛ لينعم الناس به، وظلُّوا حراساً أُمناء لميزان العدل، لا تشفع لديهم صداقة صديق، ولا تُبْعِدهم عن الحقِّ عداوة عدوٍّ. بل كانوا قوامين بالقسط، يبتغون وجه الله وحده.

تولى عمرُ بن الخطاب الخلافة بعد أبي بكر الصديق ﷺ فكان أول كلامٍ تكلم به حين صعد المنبر قال: « اللهم إني شديد فليني، وإني ضعيف فقوني، وإني بخيل فسخِّني، أيها الناس، القويُّ عندي ضعيف حتى آخُذَ منْه الحق، والضعيف عندي قويٌّ حتى آخُذَ له الحق)

وكذلك كان شأنُه إلى أن لقي ربَّه، ذلول هيِّن على الضعفاء وأصحابِ الاستقامة، سيفٌ مسلولٌ على الباطل وأهل الفساد. وفي انكماش الباطل وردعه ومحاربة الفساد رحمة بالناس أيُّ رحمة. لذا كان يحب من الناس أن تحسن أخلاقهم ويدع لله أسرارهم، وكان يقول: أظهروا لنا حسن أخلاقكم والله أعلم بسرائركم »

(١) متفق عليه.

في ساعة الموت يُشْغَلُ الإنسان بنفسه أكثر مما يُشْغَل بالناس، وعندما ترى رجلاً يكون على غير المُعتادِ من أمرِ الناس، فاعلم أنه نمطٌ فريد فيهم له من خصائصه وصفاته ما ليس لهم.

لقد رأينا عمرَ ابن الخطاب في بعض شئونه، فرأينا قوته في الحق، وبسالته في الصدق، ورحمته في العدل.

ودعنا نراه في لحظاته الأخيرة ومؤامرة الكيد للإسلام قد نُفذت فيه.

وهو بحمد الله طالب شهادة يعرفها من بُشرى نبيه، وقد طلبها من ربه. أما طلبه ففي حَجَّته الأخيرة دعا الله: « اللهم كبر سِنِّي، وضَعُفَتْ قوتي، وانتشرت رعيتي، فاقبضني إليك غيرَ مضيِّع ولا مُفَرِّط. اللهم ارزقني الشهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك » وأما بشرى الرسول ﷺ له بالشهادة فإنما سبقت إليه والرسول ﷺ يخاطب جَبَلَ أحد بعد أن رجَف وعليه الرسولُ وأبُو بكر وعمرُ وعثمان، فيما روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: صَعَدَ النبي ﷺ أُحُداً ومعه أبو بكر وعُمَرُ وعثمان، فرجَفَ بهم. فَضَرَبَه برجله وقال: **عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ** رضي الله عنه **قَالَ**: « **صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أُحُدٍ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ، فَرَجَفَ بِهِمْ، فَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ قَالَ: اثْبُتْ أُحُدُ. فَمَا عَلَيْكَ إِلاَّ نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدَانِ** » [1] والشهيدان هما عُمر وعثمان – رضي الله عنهما وعن صحابة رسول الله أجمعين.

دعنا نرى عمر في لحظاته الأخيرة ومؤامرة الكيد للإسلام قد نُفِّذت فيه. والذين نفَّذوها لم يجهلوا مكانةَ عمر ومقامه، وما أجرى الله على يده من نصر وعزٍّ للإسلام وأهله، وكذلك كانت بُشرى رسول الله ﷺ وحديثُه عنه، فيما روى البخاريُّ عن نافع أن ابنَ عُمر – رضي الله عنهما – حَدَّثَهُ قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه البخاري.

« بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلِيبٍ عَلَيْهَا دَلْوٌ، فَنَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَنَزَعَ بِهَا ذَنُوبًا أَوْ ذَنُوبَيْنِ، وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ ضَعْفَهُ، ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْبًا، فَأَخَذَهَا ابْنُ الْخَطَّابِ، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنْ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ »[1]

قال العلماء: هذا المنام مثال لما جرى للخليقتين من ظهور آثارهما وانتفاع الناس بهما، وكلُّ ذلك مأخوذ من النبي ﷺ؛ لأنه صاحب الأمر، فقام به أكمل قيام وقرر قواعد الدين، ثم خلفه أبو بكر فقاتل أهل الردة، وقطع دابرهم، ثم خلفه عمر فاتسع الإسلام في زمنه. وفي قول الرسول ﷺ: « بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلِيبٍ عَلَيْهَا دَلْوٌ، فَنَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَنَزَعَ بِهَا ذَنُوبًا أَوْ ذَنُوبَيْنِ، وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ » إخبار عن حاله في قصر ولايته، وأما ولاية عمر فإنها طالت وكثرُ انتفاع الناس بها واتسعت دائرة الإسلام بكثرة الفتوح وتمصير الأمصار وتدوين الدواوين. وفي الحديث إعلام بخلافتهما، وصحَّةِ ولايتهما، وكثرةِ الانتفاع بهما.

ولما اتسعت دائرة الإسلام على يد عمر - وهو ماضٍ ثابتٌ كالطود، يُحقُّ الحق ويدحض الباطلَ بعون ربه - وقع الكيد من أعداء الإسلام، أعداء الخير، فدبَّروا قتل عمر رضي الله عنه، عمر الذي قال عارفوه من الصحابة: (باطنه خير من ظاهره). فمبغضوه هم المبغضون للخير.

عمر الذي قال عنه عمرو بن العاص رضي الله عنه حين رآه يبكي لاستعطاف الحطيئة إيَّاه في سجنه: « ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء أعْدَل من رجل يَبكي على تركه الحطيئة » .

---

(١) رواه البخاري.

دُبِّر الكيدُ له من أعداء الإسلام فما شُغِلَ بنفسه وقد طُعِن طعنات وهو يتقدم إلى الصلاة، صلاة الفجر فما رضي أن يشغل النَّاسُ عنها، بل أمر أن تقام. وقال: « لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة ».

ثم يسأل عن قاتله بعد أن حُمل إلى منزله ليعرف أكان من مَظْلَمةٍ أمْ عَنْ بغي من القاتل.

فلما علم أنه أبو لؤلؤة، قال: ((وَلِمَ ؟ قاتله اللهُ وقد أمرتُ به معروفاً ؟)) ثم حمد الله قائلاً: ((الحمد لله الذي لم يجعل قاتلي يحاجُّني عند الله بسجدةٍ سجدها له قط)).

واشتد بكاء الناس عليه فنهاهم أن يبكوا عليه، سَقوه نقيع التمر فخرج من الجرح أحْمَرَ كما هو، فلم يعرفوا أدمٌ هو أم النقيع ؟ خرج بلونه فَسَقَوه اللبن فخرج أبيض يشوبه صديد. فأشار عليه الطبيب أن يعهد فقال: « لو قلتَ غير ذلك لكذبتك » وكان قد أنكر على الناس أن يجيئوا بالطبيب قبل أن يَفْرغَ من وصاياه ((وَيْحَكُم أيُّها الناس أأنظر في أمرِ نفسي قبل أن أنظر في شئون المسلمين ؟!))

إنه عمر الذي لم يشغلْه أمرُ نَفْسِه عن أمور المسلمين، ورأيناه من قبل لا ينسى النصيحة نصيحة شاب دخل عليه، ورأى إزاره يجر وراءه، لم ينس أن يقول لمن حوله: ردُّوا عليَّ الغلام وكان قد دخل عليه ليقول: « أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله، قد كان لك من صحبة رسول الله، وقدم في الإسلام، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة »، فقال: « وددت أن ذلك كفافاً لا عليَّ ولا لي »، فلما خَرجَ الغلام ورأى إزاره يَمسُّ الأرض قال: ردُّوا عليَّ الغلام. ثم قال: « يا ابن أخي ارفع ثوبك؛ فإنه أنقى لثوبك، وأتقى لربك ».

أخي المسلم:

إنهم الرجال الذين عُرفوا بالإسلام وعزُّوا به، و لم يطلبوا العِزَّ من غيره. وعمر نفسُه الذي يقول: « والله لو ابتغينا العِزَّ في غيره لأذلنا الله ».

عرفوا الطريق، والطريق حدده نبي الحق ﷺ عرفوه مستقيماً فاتبعوه وما حادوا عنه. فعَزَّ جانبهم، وارتفع شأنهم، وعلت كلمتُهم، وهم يُخضعون لله جباههم ﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾

وهذا جزاؤهم عند ربهم ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾

اللهم احشرنا في زمرتهم. آمين.

✿✿✿

obeikandl.com